محاضرة رقم (٦)	
الكلية	التربية للبنات
القسم	اللغة العربية
المادة باللغة الانجليزية	Simplifying Grammar
المادة باللغة العربية	تيسيرالنحو
المرحلة	الرابعة
اسم التدريسي	د. سوزان نعيم عبد
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	The Importiyat of Arabic Grammar
عنوان المحاضرة باللغة العربية	أهمية علم النحو
رقم المحاضرة	٦
المصادر والمراجع	١ـ إحياء النحو
	٢ـ النحو الوافي
	٣ـ تيسير النحو/ عبد الحميد السيد

محتوى المحاضرة

أهمية علم النحو

تأتي أهمية هذا العلم من أنه علم عقلي لا نقلي ولد في البيئة العربية للأسباب التي ذكرناها وأهمها الدينية ، على أيدي علماء عرب أقحاح ـ أو علماء عاشوا في بيئة عربية ـ . إلى جانب الوظائف الكبرى التي يؤديها هذا العلم ، وأهمها:

1.يكفل سلامة التعبير وصحة أدائه، وفَهم معناه وإدراكه في غير لبسٍ أو غموض

٢. يساعد على جمال الأسلوب وجودته ودِقَّته، وتنمية مهارات التفكير العلمي؛ مثل: دقَّة التفكير.

٣. يُعين على استعمال الألفاظ والجُمَل والعبارات استعمالاً صحيحًا، فتكون عند الدارسين عادات لغوية سليمة.

٤. كما أنه يضمن بقاء العربية من خلال الحفاظ على أهم نظام عرفت به ألا وهو نظام الإعراب.

فقد أدرك علماؤنا أن هذا النظام لصيق بالعربية وقد ورثوا هذه اللغة عن أسلافهم بأنظمتها وعليهم أن يورثوها الأجيال اللاحقة كما هي.

تنبيه العلماء على خطورة تعقيد النحو:

نبه عدد كبير من العلماء على أهمية النحو العربي وما ألحق ارتباطه بالمنطق به من ضرر كبير أدى الى تعقيده وتجنب الناس إياه . ويحدِّثنا ابن خلدون في مقدمته عن نشأة هذا العلم، فيقول: "فلما جاء الإسلام، وفارَقوا الحجاز لطلب المُلك الذي كان في أيدي الأُمم والدول، وخالَطوا العجم ـ تغيَّرت تلك المَلَكة بما ألقى إليها السمعُ من المخالفات التي للمُتعرِّبين من العجم، والسمعُ أبو المَلَكات اللسانيَّة، ففسَدت بما أُلقي إليها مما يُغايرها؛ لجنوحِها إليه باعتياد السمع، وخشِي أهل العلوم منهم أن تَفسُد تلك الملكة رأسًا، ويطول العهد بها، فيَنغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستَنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك المَلَكة مُطردة، شبه الكليَّات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويُلحقون الأشباه (منها) بالأشباه؛ مثل: أن الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغيُّر الدلالة بتغيُّر حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابًا، وتسمية الموجب لذلك التغيُّرِ عاملاً، وأمثال ذلك، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيَّدوها بالكتاب، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو". ينبّه ابن خلدون في كلامه الدقيق، أن علم النحو علم "وظيفي"، وليس أمرًا مطلوبًا لذاته، وانطلاقًا من هذه الطبيعة لعلم النحو، النابعة أساسًا من سبب نشأته لحفْظ علوم الدين ـ نحاول أن ندفع بدَفَّة الدراسة النحوية نحو واقعها " التطبيقي"، لا مجرد الواقع "النظري" الذي يكتفي باستظهار القواعد وإتقان الإعراب.

ويصف ابن خلدون ما شاب الدرس النحوي من أمور علقت به وليست منه – كالجدل والتحليل المنطقي والتعليلات الفلسفية والتمرينات العقلية والمغالاة في العوامل وغيرها من الامور الناتجة عن إقحام المنطق والفلسفة في اللغة التي هي في حقيقتها كائن حي .

نخلص الى أن النحو وسيلة للتعبير الصحيح والنطق السليم، وليس غاية في ذاته، كما حاول النحاة بعد سيبويه أن يجعلوه غاية بل عدّوه قلعة حصينة أحاطوها بسور شاهق يصعب الدخول إليها إلا عن طريق النحاة ولا سيما المناطقة منه(الارتكاز على "معايشة" النصوص العربية السليمة، وحِفظها وممارسة قراءتها، وسماعها وكتابتها؛ كطريقة مُثلى في إتقان إنشائها (نطقًا وكتابة)، انطلاقًا من أن الممارسة التطبيقية والحفظ لهذه النصوص، يُزوِّد طالب العلم برصيدٍ من أساليب هذه اللغة، يُمكِّنه من التعبير السليم على منوالها .

أهم الأسباب التي عقّدت الدرس النحوي

أ- اعتماد النحاة في وضْعهم للقواعد على منطق العقل (المعيارية)، دون الاهتمام بمنطق اللغة وطبيعتها (الوصفية)، وقد برَز ذلك في طريقة التناول والتعبير في كثيرٍ من كتب النحو والصرف والبلاغة، ويُستثنى منها كتب قلة ظهَرت في أول عهد العرب بهذه الدراسات؛ حيث قامت على الوصف في كثير من أبوابها، ولم تقع في المعيارية إلا من قبيل التوسُّع في التعبير . وبعد أن انتهى عصر الاستشهاد، استمرَّ اللغويون في دراسة اللغة عن طريق ما وضَعه السلف من قواعد اللغة، لا عن مادة اللغة، من هنا بدأ فرْض القواعد على الأمثلة، وبدَأ القول بالوجوب والإيجاز.

أدَّى كل ذلك إلى ظهور كثيرٍ من الحدود والقيود والافتراضات، التي تتنافى أحيانًا مع الواقع اللغوي؛ لذا فإن الاتجاه الحديث في تدريس اللغة، يقوم أولاً على الوصف؛ وصف اللغة المستعملة للتلاميذ، وهذا ما تدعو إليه كثير من المؤتمرات والندوات والدراسات العلمية في ذلك المجال.

ب- تأثُّر واضعي علم النحو بعلماء الكلام في أن كلَّ أثرٍ لا بدَّ له من مؤثِّر، والإمعان في ذلك إمعانًا انتهى إلى نظرية العامل، وإلى الحديث عن العِلل وعِلل العِلل.

ج- كثرة ما في القواعد من أقوال ومماحكات، واختلاف مسائلها، واعتمادها على التحليل المنطقي، الذي يستدعي حصْر الفكر لاستنباط الأحكام العامة من أمثلة كثيرة متنوعة؛ مما دعا علماء التربية أن ينادوا بتأخير دراسة القواعد إلى سنِّ المراهقة.

د- جفاف النحو وصعوبته، وعنايته بمماحكات عقلية مجرَّدة بعيدة عن واقع الحياة العملية التي يعيشها التلاميذ، وهمُّه التدقيق في الجمل والتراكيب اللغوية؛ لمعرفة موقع الكلمة من الإعراب وضبْط الحركات، وقد أشار إلى هذه الصعوبة أمين الخولي بقوله: إن هذه الفصحى لا يَسهل ضبْط قاعدتها، بل يَسودها الاستثناء، فتتعدَّد القواعد وتتضارَب.

هـ- كثرة العوامل النحْوية، وتشعُّب التفاصيل التي تَندرج تحت هذه القواعد، وتُزاحمها بصورة لا تُساعد على تثبيت المفاهيم في أذهان التلاميذ، بل إلى تشتيتها ونسيانها؛ وذلك لتجرُّدها وبُعدها عن واقع الحياة التي يَحياها التلاميذ.